تلمس في الظلام

روحة في الظلام تقري فؤادي ذكريات تسمو لأعصر عاد
خاطرات فاض الجلال بجنبيها وصوت يجلجل الارعاد
أشأم الركب والثقا بمداد ما لقلبي يجد في أنجاد ؟
أيها الكوكب البعيد أفض لي بسنا خاض شاسع الأبعاد
كم ملايين عالم قد تلاشى وهو في سيره لهذي العباد
يا ترى هل درى بأني ساتي حين شق الأثير شطر بلادي ؟
أم درى انني أضيع أهدافي فقد جاء آخذاً بقيادي
تهت واضيعتي فذي السحب قد وافت لتفتاله على ميعاد
أشرقي يا نجوم فالقلب حيران وقد غشه غشاء الحادي
خلص الحي تحت موج غطيط وغرتني الأحلام دون رقاد
أأنا التائم الجد بأحلامي أم الحي ... ؟ قد أضعت رشادي
أنزفت حرة الحمى ثورة الحق فهل نافعي النداة حيادي ؟
أنا في باطلي استرحت فلا لاح لبوم الرشاد لجر هادي
واذا كنت في نعيم من الأحلام فليذك عسر في إيقادي
أنا في جنة بوحي خمار الروح فليمس في الجحيم مهادي
هيئتها خواطر باسمات ورمت من تفاؤلي بسهاد
ركبت سفرتي نهامه بيضاء وأضنى المطي طول السهاد
ريل قلبي تبددت بسمات الروح إذ ريع صبرها بنفاد
أتعب القلب باجتراء المآسي وزماني يأبى نفاد الزاد
رب موج قد خضته بادي الأهوال إذ هاج مرعب الأزباد
فتعاليت عامقاً غلا البحر اضطراباً ولا يضام بعادي
ثم إذ عدت صارخاً بالشواطي ردد الصخر رهبة ارعادي
ألفت روحي الظلام أنيساً إذ أتى النور بالمساوئ بادي
واحتست بالسكون سلوى بأرواح تغنت سحرية الانشاد

وإذا الوحش قد أغار فلم يعس كبني الانسان للفتك صادي
وألفت القبور إذ ميتة الارواح شرٌّ من ميتة الاجساد
أيها الراحلون خلفكم الحسران ما انفكَّ منكماً بالفساد
ولقد طافت والظلام بأكوام تراب زانت قرار الوادي
نه جلالاً فما أجلك وادي فيه دكت حواضر وبوادي
كم قبيل زاحمته بقبيل وبلاد طحنتها ببلاد
(ربَّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحكاً من تزاحم الاضداد)
أيها الراقدون هبوا لعصر النور ما يومنا بيوم رقاد
أوَمَا آن للقبور انبعاث في عصور أطغى صلد الجماد
غير ان الحياة عالم نقص ووجود مصيره لفساد
أترعت كأسها زماناً وعهداً أرأيت الاشواك في الاوراد ؟
لا تخالوا ابتسامها غير هزء ما حنى العطف منجل الحصَّاد
غيراً للوحاة يتلو فم الدهر سطور الارتاق والارغاد
غير أن الحنين من ضجة العيس أضاع المرمى وضلَّ الحادي
هو ذا الله في الوجود تجلى ببديع الآثار للروَّاد
في حياة النبات ، في عيش الطير وفي لثغة المزار الشادي
قال قوم أنى تعود جسوم أعقبت فارها خمود رماد ؟
وهبوط النفوس للعالم السفلي قبضٌ فهل تؤد الايادي ؟
غير ان الرموز تفنى ولكن مودعات البذور سرّ من السرّ (المعاد)
وكذاك الارواح تهبط للأرض ليكسبي الكمال (ذو استعداد)[1]
آه الصعب أن تسيرك الروح بعيداً عن قائل (الاتحاد)
ورنا راعه الوجود فهلاَّ رحموا عنه صرخة الميلاد
والذي حير العقول (وجود جوهري مجرد) غير بادي

(بغداد) ضياء الرميلي

(١) كما يرى فلاسفة الاسلام وابن سينا في طليعتهم